اما الوباء فيشتد ايام الحر ويخف عندما يقع المطر وقد وقع المطر هذا الشهر فخف الوباء. فعلى مَ يقول هؤلاء الخادعون انهُ سيشتد ثانيةً في الشهر القادم. انهم يقصدون نكم شرًا فلا تخافوا من الارواح الشريرة بل خافوا من الناس الاشرار. فاحرسوا بيوتكم من اللصوص ونظفوا حياضكم ومساكنكم وابدانكم ولا تاكلوا لحمًا فاسدًا. واذا اصابكم الم في معدكم فلا تستخفُّوا بهِ بل بادروا الى العلاج. وقد وضعنا دواء الهواء الاصفر في كل المراكز الطبية المختصة بدولتنا لكي يفرَّق عليكم ونشرنا هذا المنشور رحمة برعايانا الذين تحملهم سذاجتهم على تصديق الاكاذيب"

هذا منشور ملك سيام وهو حدَثٌ في بلاد وثنيَّة وفي الامس كانت اوربا تنشر المناشير على رعاياها ليصلُّوا الى الله لكي يبعد عنهم شر النجم ذي الذنب وتدَّعي انها في اوج التمدن

نقول ذلك على علم بان دعاوي كثيرين من كتبة هذه الايام لا تنطبق على الحقائق التي اثبتها العلماء وقولهم في توحش الامم وتمدنها لا يصدق على تعريف العلماء للتمدن والتوحش. على اننا لا ننكر ان الافرنج سابقون علمًا وصناعةً وزراعة وانتظامًا في الهيئة الاجتماعيَّة وعندهم من اسباب التمدن ما ليس عند غيرهم وانما ننكر عليهم دعواهم بانهم مستأثرون بهِ دون غيرهم وانهم ارقى الشعوب آدابًا ومحامد على حين نرى رذائل تمدنهم تخرب البيوت وتنقض دعائم الفضائل حتى لقد كادت سيئاتهُ تحجب حسناتهِ عن البصائر وصار يخشى ان تكون عاقبتهُ الضعف والانقراض لا القوة والارتقاء

فلسفة اللباس

النبذة الاولى. في اللباس الطبيعي

بحث الجيولوجيون في طبقات الارض فوجدوا فيها احافير قديمة جدًّا لكل انواع الحيوان والنبات الَّا الانسان فان آثارهُ واحافيرهُ التي وجدوها حديثةٌ جدًّا بالنسبة الى غيرهِ من الحيوان. والعلماء في ذلك مذهبان شهيران الاوَّل ان الانسان حديث على الارض لم يُوجَد عليها الَّا منذ بضعة الوف من السنين. والثاني انهُ حديث في الاقاليم المعتدلة التي بحث الجيولوجيون فيها عن احافيرهِ ولكنهُ قديم جدًّا في الاقاليم الحارَّة التي لم يبحثوا فيها حتى الآن. ويقول بعض الذين يذهبون هذا المذهب انهُ اذا استتبَّ لخلفائنا ان يحفروا ترعة تصل بين النيل والكونغو نهرَي افريقية العظيمين عثروا فيها على آثار الاقدمين واحافيرهم. وقد فصَّلنا مذهبين المذهبين في

السنين الماضية وإنّا ان قدمية الانسان لم تثبت علميًّا حتى الآن . وايًّا كان الصحيح فعدم استطاعة الانسان على سكنى الاقاليم الباردة عريانًا وخلوّ جلده من الشعر الكافي لتدفئته فيها وما اتصل الينا بالتقليد المتوارث آبًا عن جدٍّ كل ذلك يدلُّ على ان الانسان سكن اولًا الاقاليم الحارّة ثمَّ انتقل منها الى الباردة فاضطرّ ان يقي نفسه باللباس من بردها الشديد . وعليه فاللباس فضلة زائدة اضطرّ اليها الانسان عندما دعت الحاجة اليها

والذين درسوا طبائع الحيوان يعلمون ان الحكمة الالهيَّة قد اقتضت ان يكون كلُّ حيوانٍ منها اهلًا لان يعيش في الاقليم الذي وُجد فيه وانهُ اذا انتقل منهُ الى اقليم آخر تغير جسمهُ تغيرًا يؤهّله للسكن في ذلك الاقليم . ولكنَّ ذلك لا يتمُّ لهُ الاَّ بعد ان تمرَّ عليهِ القرون الطوال ويهلك منهُ العدد العديد . اما البشر فلم يخضعوا لاحكام العناصر ولم يتأنَّوا حتى تكسوهم الطبيعة اثواب الفراء او الدهن كما كست الحيوانات المقيمة في الاقاليم الباردة بل طلوا ابدانهم بالطين اولًا ثم ابدلوهُ بجلود الحيوانات ونازعوها مغار الارض ثم نسجوا صوفها ولبسوه ثم حاكوا الياف النبات واشتغلوا نسجها اشتغالًا ثم صاروا يفصلونها ويخيطونها على اشكال شتى فكثرت الازياء وتنوّعت ولم تزل تتنوّع حتى يومنا هذا وعمّت البدو والحضر في كل الاقاليم الباردة والمعتدلة وفي اكثر الاقاليم الحارّة . هذا ملخص تاريخ اللباس

واوّل سوال يسأله من يرغب في الوقوف على فلسفة الامور هو ما فائدة اللباس . والجواب على ذلك ان الانسان كغيرهِ من الحيوانات الحارّة الدم حرارة جسدهِ اشد غالبًا من حرارة الهواء المحيط بهِ ومن حرارة الاجسام التي تباشرهُ ولا بدَّ من بقاء حرارتهِ على معدَّلها حتى يبقى حيًّا صحيحًا . ومن القضايا المقرَّرة في الطبيعيات ان الاجسام تتبادل في حرارتها حتى تتساوى . وعليهِ فالحرارة تنبعث من جسد الحيوان الى الهواء والاجسام المباشرة لهُ دائمًا . وهي ضرورية لحياتهِ كما لا يخفى فلو لم يكن لهُ واقٍ يقلل الانبعاث او الاشعاع المذكور ويبقي حرارتهُ على معدَّل واحد في اشد الاقاليم بردًا ما عاش فيها قط . وهذا الواقي هو الصوف والشعر اللذان يغطيان ابدان الحيوانات والريش الذي يغطي الطيور والدهن الذي يغطي بعض الحيوانات المائية الحارّة الدم كالحوت والدلفين . اما الانسان فيكاد يكون عاريًا لان شعر بدنهِ قليل لا يكفي لتدفئتهِ وبشرتهُ رقيقة جدًّا والطبقة الدهنية التي تحتها غير سميكة لتمنع اشعاع الحرارة من بدنهِ

والبشرة[1] العادمة الحس هي اللباس الطبيعي الوحيد المرتدي بهِ الانسان . فاذا اقام في الاقاليم الباردة او المعتدلة لزمهُ ان يلبس فوقها لباسًا آخر يحفظهُ من البرد وان يجعل

(١) البشرة الجزء البادي من جلد الانسان

هذا اللباس ماثلاً للّباس الطبيعي في وظيفتهِ اي ان يقي الجسد من اشعاع الحرارة ولا يمنعهُ عن افراز المواد التي تُفرَز منهُ ولا يضيّق عليهِ. ويجب ان تكون نسبتهُ الى البشرة نسبة البشرة الى الادمة[1] ولذلك يجب ان نلتفت الى وظائف البشرة والادمة او الى وظائف الجلد كلهِ تمهيدًا لما يأتي

النبذة الثانية في الجلد

اذا نُزع جزء صغير من جلد راحة اليد وقُطع على الخطوط التي تُرى فيهِ ونظر الى مقطوعهِ بالمكرسكوب ظهرت فيهِ انابيب دقيقة غائرة من سطح البشرة الى باطن الجلد اى الادمة والطرفُ الاسفل منها الغائر تحت الجلد ملتف على نفسهِ لفات كثيرة. فهذه الانابيب هي مسام الجلد التي يخرج منها العرق ولفاتها السفلى هي الغدد العرقية. وهي اي الانابيب او المسام موجودة في كل الجسد ففي القيراط المربع من راحة اليد ٢٨٠٠ انبوب منها ثم يقل عددها عن ذلك في اخمص القدم فقفا اليد فالجبهة فمقدم العنق فالجذع فالذراعين. ففي كل قيراط مربع من الذراعين نحو الف انبوب منها ويقل اكثر من ذلك في الطرفين السفليين والظهر ففي كل قيراط مربع من الظهر نحو ٤٠٠ فقط. ومقدار الموجود منها في الجسد كلهِ نحو مليونين ونصف. وقطر كل انبوب منها نحو جزء من ثلث مئة جزء من القيراط وطولهُ لو بُسط نحو ربع قيراط. ولهُ طبقتان الداخلة منها امتداد من البشرة والظاهرة من الادمة

ووظيفة هذه المسام او الانابيب ضرورية جدًّا لانها تأخذ من الدم الذي يجري في الاوعية الدقيقة المحيطة بها سائلاً حامضًا فيهِ قليل من المواد المحيّة والبوريا والحامض اللبنيك وغيرها من الفضول المفرزة من الجسد والتي لو بقيت في الدم لاثرت فيهِ تأثير السم

وتظهر فائدة هذه المسام في افراز الفضول من الامتحان الآتي وهو ان احد العلماء وعمرهُ ثلاث وثلاثون سنة وثقلهُ ٥٤ كيلوغرامًا اكل وشرب في ٢٤ ساعة ما ثقلهُ ٩٤ ½ اوقية طبيّة فأُفرزت فضولها من امعائهِ وكليتيهِ وجلدهِ على الصورة الآتية

من الامعاء	٦ ½	اوقية
من الكليتين	٤٦ ½	"
من الجلد	٤٠ ½	"

وكان ذلك في شهر ايلول وكانت الحرارة معتدلة وكذلك الحركة

(١) الادمة ما بقي من الجلد بعد نزع البشرة عنهُ وهي الجلد الحقيقي

وقد وجد العالم المذكور ان ثقلة كان يخف نحو ٢٣ غرامًا في الساعة وهو جالس. فاذا قام وروّض جسدهُ في الشمس قبل ان يأكل خفّ اكثر من ٨٩ غرامًا في الساعة. واذا روّض جسدهُ رياضة عنيفة بعد الاكل خف نحو ١٧٣ غرامًا في الساعة. فكل ما يسدُّ هذه المسام يمنع خروج هذا المقدار الجزيل من الفضول فتبقى في الدم وتسمّمهُ. هذا ناهيك عن ان الغشاء المخاطي المبطن للرئتين ولكل اعضاء الهضم هو نوع من الجلد فكل ما يشوّش وظيفة الجلد يشوّش وظيفة الغشاء المخاطي والاعضاء الرئيسة المتصلة به حتى ظن البارون دوبيترون الجراح الفرنسوي الشهير ان من يحترق لمن جلدهِ وتزول منهُ الغدد العرقية المذكورة آنفًا لا يكفي الباقي منها في جسدهِ كلهِ لحفظ حياتهِ. ويقال ان بعضهم دهن جلود الحيوانات بالقرنيش فمات بعضها بعد بضع ساعات ولم تعش البقية اكثر من ثلاثة ايام. وكان الدم يتغيّر فيها كلها ويعتل غشاؤها المخاطي والزلالي

قلنا ان البشرة هي اللباس الطبيعي الذي البسناهُ الله. والآن نقول ان الادمة التي تحتها وهي الجلد الحقيقي ذات اوعية دموية دقيقة جدًّا مشتبكة بعضها مع بعض حتى لا تستطيع ان تغرزها بابرة الاَّ تمزق بعض هذه الاوعية وانفجر الدم منها كما هو معلوم. والدم الذي في هذه الاوعية يأتيها من الشرايين وهو احمر وفيهِ كثير من الاكسجين ولكنهُ يمضي منها داكن اللون فاقدًا قسمًا من اكسجينهِ الذي يكون قد اتحد بمواد قابلة الاحتراق فحرقها وتولدت الحرارة من حرقها. فالجلد الذي يغلف الجسد كلهُ انون تحرّق فيهِ المواد وكذلك الغشاء المخاطي المبطّن لتجاويف الجسد والغشاء الزلالي ايضًا على ما يُظن. ويجب الانتباه الى هذه الحقيقة لان اكثر الذين كتبوا في هذا الموضوع حصروا مكان تولد الحرارة الحيوانية بالرئتين ولو كان الامر كذلك للزم ان تكون الرئتان اشد حرارة من كل اعضاء الجسد وهذا مخالف للواقع. وحقيقة الامر ان الحرارة تتولد في كل اعضاء الجسد حيث توزع اوعية الدم الشعرية وتولدها ضروري للحياة. ومعلوم ان الحرارة تتولد من اتحاد الاكسجين بعناصر الجسد اتحادًا كيماويًا والاتحاد الكيماوي لا يبتدئ ولا يدوم ما لم تكن العناصر التي يقع فيها على درجة معلومة من الحرارة. فاللباس ضروري لحفظ حرارة الجسد على درجة معلومة لكي يتم الاتحاد الكيماوي المذكور على معدّل مناسب للحياة. والجلد نفسهُ يقي الجسد بعض الوقاية من زيادة الاشعاع ويلطف حرارتهُ اذا زادت عن معدلها الطبيعي بما يخرج منها من العرق الذي يتبخر ويبرّد الجلد. فيجب ان توجد هاتان الصفتان في اللباس اي ان يلطّف حرارة الجسد ويحفظهُ من برد الهواء. وفي ذلك كلام طويل سنقف عليهِ ان شاء الله